

رمزية الخطاب الشعري في المجموعة الشعرية "حروف ثائرة" لقويدر قيطون
The poetic discourse symbolism in the poetic collection "Huruf
Thaira" of Quider Qitun



سليمة عباس*

جامعة الوادي

abbas-salima@univ-eloued.dz

علي دغمان

جامعة الوادي

ali-doghmane@univ-eloued.dz

تاريخ الاستلام: 2025/02/27 تاريخ القبول 2025/05/05 تاريخ النشر 2025/06/03



ملخص:

يعتبر توظيف الرمز أداة فاعلة في الخطاب الشعري الجزائري المعاصر بسبب طاقته التعبيرية الهائلة، فالرمز سمة من السمات البارزة التي عرفت بقدرتها على وصف المعاني العميقة؛ لأن الشاعر دائم البحث عن أداة تمكنه من إيصال أفكاره بطريقة غير مباشرة للمتلقي، وباستخدام الرمز يتمكن من حث القارئ على البحث المتواصل لفهم تلك الدلالات الغامضة التي تكمن وراء تلك الرموز. وسنحاول فهم أفكار شاعرنا قويدر قيطون من خلال استقراء الرموز الموجودة في المجموعة الشعرية حروف ثائرة، والغوص في أعماق نصوصه الشعرية بطريقة تحليلية تستند على استخلاص مختلف الدلالات التي نتجت عن استقراء تلك النصوص وإظهار تأثيرها على المتلقي.

الكلمات المفتاحية: الرمز؛ الغموض؛ الدلالة؛ الخطاب الشعري؛ المتلقي.

* المؤلف المراسل

Abstract:

The use of symbols is an efficient tool in the contemporary Algerian poetic discourse thanks to their huge expressive ability. In this regard, the symbol is one of the prominent characteristics that can describe the deep meanings because the poet always looks for a tool that allows him to indirectly convey the ideas to the recipient. Thus, the use of the symbols helps him push the reader for the continuous search to understand the vague meanings conveyed by the symbols. We shall try to understand the ideas of Quider Qitun through reading the symbols found in his poetic collection "Huruf Thaira", and delve into the depths of his poetic texts using an analytical method that is based on the deduction of the connotations resulting from reading the texts, and on showing their effect on the recipient.

key words: symbol; vagueness; connotation; poetic discourse; recipient.

مقدمة:

عرف الشعر العربي منذ ظهوره تطورا هاما فظل يساير حركة الإنسان ويقف مواقف متباينة؛ مما أدى إلى ظهور سمات جديدة تسمح للشاعر أن يعبر عن قضايا عصره دون شرط أو قيد، وقد تأثر الشاعر الجزائري كغيره بتلك التطورات والتغيرات، ولعل أبرز سمات الشعر الجزائري المعاصر الرمز الذي هو من أهم العناصر التي تساهم في بناء القصيدة المعاصرة؛ فهو يكسبها أبعادا فنية ودلالية تظهر وتستبين من خلال موقف ورؤية الشاعر الخاصة اتجاه ما يحيط به، كما يعد توظيف الرمز في الخطاب الشعري إحدى نتائج حركة الحداثة، فهو من الأدوات التعبيرية التي استعان بها الشاعر حتى غدت من أكثر الظواهر بروزا.

وجد المبدع في توظيف الرمز فسحة يمارس حريته فيها، ويعبر عن ذاته وتجربته الشعورية وقضايا مجتمعه وأمته، «فالرمز الشعري مرتبط كل الارتباط بالتجربة الشعورية التي يعانها الشاعر، والتي تمنح الأشياء مغزى خاصا»¹، لذلك شغل توظيف الرمز حيزا كبيرا في الشعر المعاصر؛ وهذا ما يضيف للعمل شاعرية خاصة، ويتيح للشاعر التعبير عن أفكاره وأحاسيسه المجردة التي من غير الممكن أن تعبر عنها اللغة العادية وتجسدها،

«ومهما تكون الرموز التي يستخدمها الشاعر ضاربة في التاريخ، ومرتبطة عبر هذا التاريخ بالتجارب الأساسية النمطية (أي بوصفها رموزا حية على الدوام) فأنها — حين يستخدمها الشاعر المعاصر — لابد أن تكون مرتبطة بالحاضر، بالتجربة الحالية، وأن تكون قوتها التعبيرية نابعة من ذاتها»²، فالرمز يرفض السطحية والمباشرة كما يرفض أيضا ربطه بزمان ومكان معينين؛ فهو صالح بقدر ما يحمل من إيجاءات ودلالات وصالح أيضا مادام يأخذ بالقارئ بعيدا عن اللغة السطحية، ويكشف عن المعنى الباطني والمغزى العميق لا حدود له ولا حواجز تمنعه له، القدرة على تعدد التأويلات كما له القدرة أيضا إطلاق العنان للخيال.

ولهذا سنتطرق إلى الإشكال الآتي: كيف تشكل الرمز في المجموعة الشعرية "حروف نائرة"؟ وكيف أسهم في بلورة المعاني الكامنة في أغوار نفس الشاعر؟

1- وظيفة الرمز:

يملك الرمز قدرة كبيرة في التعبير عن مكنونات الشاعر، متجاوزا بذلك اللغة المباشرة ومبتعدا عن التصريح و عن المعاني السطحية؛ مما يجعل القارئ يبحر بعيدا بحثا عن الدلالات التي يريد المبدع إيصالها له، فـ «حين لا ينقلك الرمز بعيدا عن تخوم القصيدة، بعيدا عن نصها المباشر، لا يكون رمزا. الرمز هو ما يتيح لنا أن نتأمل شيئا آخر وراء النص — فالرمز هو، قبل كل شيء، معنى خفي وإيجاء. إنه اللغة التي تبدأ حين تنتهي لغة القصيدة — إنه البرق الذي يتيح للوعي أن يستشف عالما لا حدود له، لذلك هو إضاءة للوجود المعتم، واندفاع صوب الجوهر»³، فلا حدود لدلالات الرمز في الشعر المعاصر فلكل قارئ دلالة ومعنى يختلف عن القارئ الآخر، لذا يعتبر الرمز وسيلة مهمة للإيجاء والتعبير الجمالي، يحمل أبعادا دلالية متعددة ينتج عنها انفتاح القراءة بشكل يجعل المتلقي يرى في النص الواحد عدة نصوص، وهذه هي وظيفة الرمز الأساسية حيث يجعل من النص الشعري أفقا رحبا تمتد فيه الدلالات امتدادا قد لا يمكن القبض عليها، «وقد أدرك

الشعراء المعاصرون أكثر من سابقهم، ما في الرمز من امتلاء، وخصوصية، وما فيه من طاقة في أن يفتح أمام الشاعر والقارئ معا، فيضا من الإيحاءات التي لا تنتهي إذا أحسن الشاعر استعماله، فقد تعددت المجالات التي أصبح استخراج الرمز منها ممكنا مما أضفى على العمل الشعري ثراء في أبعاد الصور الشعرية واتجاهاتها⁴، إن الشاعر باستخدامه للرمز يبحث عن الغموض ويبحث عن فيض لا يريد له أن ينتهي من الإيحاءات والدلالات التي تزيد من جمالية النص الشعري، «ولعل السبب الأساسي الذي جعل الشعراء يعتمدون الرمز في صورههم وتعابيرهم هو قناعتهم بأن لغة الشعر يجب أن تبتعد قدر الإمكان عن الوضوح والتحديد، والرمز وحده هو الذي يضفي على لغته مسحة من العمق، والشفافية، والإيحاء، ويعين الصورة لثلاث تكون تشابها بين شيئين»⁵، فوظيفة الرمز الأساسية هي جعل النص الشعري غامضا عميقا دافعا للقارئ إلى استكناه أفكار الشاعر باحثا في معانيه وتجاريه الشعورية والنفسية، فالرمز لغة أخرى داخل لغة النص الشعري لا تفهم إلا بالتعمق داخل أفكار المبدع وتفسح للقارئ المجال للتأويل .

2-الرموز في المجموعة الشعرية "حروف نائرة":

للشاعر القدرة على السياحة والسفر عبر مخيلته، فنجدد يسافر بنا في كل مرة إلى مكان يختلف كل الاختلاف عن المكان الذي قبله، ويستعمل اللغة للذهاب بنا إلى المكان المراد، ويستعمل الرموز أيضا كوسيلة للتعبير عن مراده وما يفكر فيه ليبحثنا على البحث عن مقصوديته. والرحلة هذه المرة تأخذنا إلى فلسطين والقدس.

رمز فلسطين والقدس:

تعتبر فلسطين قضية العروبة الأولى فلطالما تغنى بها الشعراء في قصائدهم؛ فهي الأرض المغتصبة والحق المسلوب ، أما القدس فهي الأرض المباركة مسرى الرسول صلى الله عليه وسلم وقبله العديد من الأنبياء والمرسلين، وهي رمز الخذلان العربي والإسلامي، ورمز

الضعف والتشتت، ضعف أمة كاملة عجزت عن استرجاع حق مشروع وأرض استباحها اليهود واستباح معها شعبها العربي المسلم.

يقول الشاعر في قصيدة تحت عنوان "أَسْأَلُ عَنْ أَحْزَانِي؟":

«أَسْأَلُ عَنْ أَحْزَانِي؟

عَنْ هَمِّ ذَاتِ مَسَاءٍ تَغْشَانِي

عَنْ أَلَمِ سَافِرٍ فِي الْفُؤَادِ صَمْتًا

فَأَبْكَانِي؟

فِلَسْطِينُ...»⁶.

فلسطين قضية من أبرز القضايا التي اهتم بها الشاعر قويدر قيطون؛ وكأي شاعر جزائري اعتبرها قضيته الخاصة، فتحدث عنها بألم شديد حتى صارت تؤرقه وتعصر فؤاده ألما، وذلك الألم الذي جعله يبكي، فقد ركز الشاعر بشكل كبير على قضية فلسطين العروبة، وما ألحقه بها الصهاينة من ظلم واستبداد وخراب وقتل بكل الطرق الوحشية وتشريد وتهجير لأهلها. إنّ قضية فلسطين أهم قضية في الوطن العربي، فهي رمز التمزق والتفرق وشتات الأمر وضياح رأي أمة بأكملها، أمة لم تتوحد يوما على رأي واحد ما جعلها مطمع الطامعين، ويضرب لنا الشاعر مثلا ما لحق أيضا ببغداد العراق وأفغانستان.

يتحدث الشاعر عن القدس في قصيدة بعنوان "آيات الأخرس" قائلا:

«مَا عَسَى يَا آيَاتُ يَكْتُبُ الْقَلَمُ

تَحْرُسُ الْأَقْلَامُ وَيَعْجَزُ الْكَلِمُ

مَا عَادَتْ تَنْفَعُ الْيَوْمَ قَصَائِدُنَا

وَمَوْجُ الْمَنَايَا فِي الْأَفْصَى يَخْتَدِمُ»⁷

يضيف قائلا في نفس القصيدة:

«قَدْ رَأَتْ إِذْ دَنَسَ الْيَهُودُ تَرْبَتَهَا

بِالْمَدْفَعِ وَالنَّيْرَانِ شَارُونُ يَفْتَحِمُ

أَرْضَ الْإِسْرَاءِ وَمَهْدَ أَحِبَّتِنَا

دَوْحَ الزَّيْتُونِ مِنْ بَطْشِهِ مَا سَلِمُوا»⁸

يعبر الشاعر عن عجز قلمه وحرفه أمام ما يحدث في قدسه الحبيبة، فقد بات أمرا لا ينفع معه قول فقد تندست تلك الأرض الطاهرة بأقدام الصهاينة، وربما أراد الشاعر القول أنّ وقت الكلام والأشعار قد ولى ولا بد للعرب أن يجمعوا أمرهم ويحرروا قدسهم، تلك الأرض التي لم يسلم فيها حتى الشجر من بطش العدو الغاصب على مسرى رسولنا وحبيبنا محمد صلى الله وسلم، تلك الأرض المباركة التي شكلت قبلة للعديد من الأنبياء والرسول، والقدس هنا أيضا رمز للتخاذل العربي والذل والتشتت وضياح الأرض، رمز أيضا للخضوع والعجز العربي والإسلامي، والأبيات من بحر الرمل الذي يناسب حالة الشاعر المتباينة بين الحزن على حال القدس، ومحاولة رفع الحماس في نفوس العرب والمسلمين لدفع الظلم عن أرض فلسطين.

يتحدث الشاعر أيضا عن المسجد الأقصى في قصيدة تحت عنوان "تجبر" يقول فيها:

« نَحْنُ لَمْ نُخْلَقْ لِنُقَهَّرْ

نَحْنُ لَمْ نُؤَلَدْ لِنُحَقَّرْ

فَلْيَعُدَّ الْيَوْمَ إِنْ شَاءَ أَبْرَهَةٌ

فَلِلْقُبَّةِ رَبِّ يَحْمِيهَا

وَطِفْلٌ لِلْأَقْصَى سَوْفَ يَثَارُ»⁹

يشبه الشاعر الأقصى بالكعبة الشريفة، لأن كلاهما مكانان مباركان طاهران، وكلاهما تعرضا لمحاولات هدم فأبرهة الحبشي ملك اليمن حاول عام الفيل هدم الكعبة بفيلته، واليهودي المغتصب يحاول إلى اليوم هدم المسجد الأقصى بمدفعه وصواريخه، لكن الشاعر يقول أن للأقصى طفل سيكبر ويثار لما يحدث اليوم ويتوعد الصهاينة بغد قريب تغدو فيه الحجارة في يد الطفل ألغاما كأنها مصهورة في سقر، فالأقصى هنا رمز للعجز والأمل في

الوقت ذاته، وشاعرنا يتوعد الأيادي الغاصبة بأيام عصيبة قد تكون قريبة، ويحاول لفت انتباه العرب الذين تناسوا أقصاهم ودينهم .

يقول الشاعر في قصيدة أخرى تحت عنوان "غزوة أيدول" متحدثاً أيضاً عن الأقصى:

« اشدُّ رَحَالَكَ يَا عَبَّاسُ

فَالْأَقْصَى يَنْتَظِرُ

وَأُعِدُّ رِبَاطَ الْحَيْلِ

لِلْأُكْفَرَاءِ

وَأَنْفِرْ بِجَيْشِكَ إِلَى أَيْدُولٍ مُتَشَقِّقًا»¹⁰

أراد الشاعر في هذه القصيدة الاستهزاء من الرئيس الفلسطيني الذي يترك شعبه يعاني ظلم الاحتلال الصهيوني، ويذهب لحضور برنامج غنائي لا فائدة ترجو منه، فيشبهه رحلته تلك بالغزوة ويقول له بأن يشد الرحال إلى تلك الحفلات، والأقصى ينتظر من يحرره وهو يذهب متباهياً بنفسه وبخسائره المتتالية وبتلك المذابح التي يرتكبها الصهاينة في حق شعبه يومياً، وهو لا يستطيع تحريك ساكن من مكانه فهكذا يصنع مجده ويكتفي فقط بالخطابات والشعارات التي لا تنفع شعبه في شيء، فالأقصى هنا أيضاً يحمل رمز التخاذل والعجز والضعف وربما اللامبالاة التي تصدر عن رئيس فلسطين ذاته، فهو بدل الانتصار لبلاده وعروبة القدس ودينه، يتوجه إلى الملهاة تاركاً وراءه شعباً يعيش في مأساة تدمي القلوب كل الوقت، فلا عجب أن نجد شاعرنا يسخر منه ويستهزأ به.

رمز الهدهد:

تختلف رمزية طائر الهدهد بين مختلف شعوب العالم؛ فهو جالب للسعادة والثراء وهو ناقل للأخبار والرسائل، وعند المسلمين يعرف طائر الهدهد بقصته مع النبي سليمان عليه

السلام، أما الشاعر قويدر قيطون فقد وظفه توظيفاً مغايراً، حيث يقول في قصيدة تحت عنوان "هدهد النحس" :

«يَا هُدْهُدَ النَّحْسِ، لِمَا تَأْتِي بِمَا يُؤْرِقُنِي
وَيَطْرُدُ النَّوْمَ مِنْ عَيْنِي
وَيَذْنَحُنِي؟؟»

إِنَّ الْحَبِيبَ فِي الْمَكَانِ لَا يُفَارِقُهُ»¹¹

ويضيف قائلاً:

«هَذَا كِتَابِي إِلَيْكَ يَا هُدْهُدَ النَّحْسِ أُرْسِلُهُ
إِيَّاكَ إِيَّاكَ بَعْدَ الْيَوْمِ
إِنْ تَلَقَّاهُ تُخْبِرُنِي»¹²

وظف الشاعر الهدهد توظيفاً مغايراً تماماً لما هو متعارف عليه، فقد صار يجلب له الأخبار السيئة بدل الأخبار السعيدة، حتى بات يصفه بهدهد النحس فقد صارت أخباره تورق نوم الشاعر وتقلقه بل تدبجه أيضاً، وأصبح ينذره بعدم إيصال أخبار حبيبته له مرة أخرى، لأن حال الشاعر يرثى لها فقد صار يرسل الهدهد ويتوعده خوفاً من أن يأتيه بأخبار جديدة عن محبوبته، وهي في نظره أخبار سيئة يخشى سماعها ويتجنب معرفتها، ومن الواضح جداً أن الشاعر قويدر قيطون وظف الهدهد كرمز للنحس والحزن وخيبة الأمل والانتظار الذي ينتهي دائماً بأرق وليل عصيب لا يريد أن ينتهي.

رمز البومة:

البومة عند معظم الشعوب نذير شؤم، ورمز الموت والخراب، وهذا عائد إلى ظهورها ليلاً فقط والليل عند أغلب الناس هو الظلام والخوف والسكون، في حين نجد أن البومة عند بعض الشعوب كالإغريق والشعوب الأمريكية رمز للحكمة والمعرفة، فهم يرون فيها

حكمة بالغة. وسنرى في قصيدة تحت عنوان "وصلها قتل وهجرها قتل" ما تحمله البومة
من رمزية عن الشاعر قويدر قيطون:

«أَبْرِضِيكَ أَنْ تَرَى فُؤَادِي طَلَلًا

يُغَرِّدُ الْبُومُ فِيهِ

كَأَنِّي كُنْتُ إِنْسَانًا

عُودِي فَمَا عُدْتُ أَبْغِي سِوَاكِ امْرَأَةً

وَالأَفْقُولِي

مُتِ الْآنَ»¹³

البومة رمز للخراب عند شاعرنا فقد شبه فؤاده بالمكان الخالي المظلم الذي يغرد فيه
البوم؛ وقد قرن الشاعر صوت البوم الذي هو النعيق بتغريد العصفور ربما للدلالة على
الأمل الذي مزال داخل قلبه للقاء محبوبته، ويقرن لقاءها أيضا ببقائه على قيد الحياة،
فهو يعتبر نفسه ميتا وهي بعيدة عنه، وأراد الشاعر بهذا الوصف لحاله أن ندرك عمق
محبه لمحبوبته الغائبة عن ناظره الحاضرة في قلبه وعقله، لقد ماتت جميع نساء الأرض في
عينيه حتى صار لا يبغي وصل غيرها.

رمز النار:

تعتبر النار من أولى العناصر في الطبيعة التي انتبه إليها الإنسان، فحاول البحث عن
حقيقتها واستغلها في حياته اليومية، وللشعر المعاصر دور هام في توظيف النار كرمز في
النصوص الشعرية لما تحمله من دلالات كثيرة ومتنوعة ف «النار هي الحي الأعلى . وهي
داخلية وخارجية تحيا في قلوبنا وتحيا في السماء. تصاعد من أعماق الجوهر وتتبدى لنا
حبا ، ثم تعود فتتهبط إلى قلب المادة وتختفي كامنة، منطوية، كالحقد والانتقام. وهي
الوحيدة، من بين جميع الظواهرات ، التي يمكنها أن تتقبل كلتا القيمتين المتضادتين: الخير

والشر.»¹⁴، وقد وظفها شاعرنا في قصيدة تحت عنوان "وصلها قتل وهجرها قتل" فقال:

«قُولُوا لِمَنْ بِالْوَصْلِ تَقْتُلِي

حِينًا

وَبِالْهَجْرَانِ أَحْيَانًا

أَلَا يَكْفِيكَ دَمْعًا فِي هَوَاكِ أَسْكُبُهُ

يَسَاقُطُ عَلَى الْحَدَّيْنِ نِيرَانًا»¹⁵

يقصد الشاعر بالنار هنا ذلك الشوق الكبير الذي يحس به في وجود وغياب محبوبته، فالأمر سيّان عنده لقاؤها أو بعدها فهو أن وصلته تعذب وإن هجرته أيضا تعذب، حتى صارت دموعه تنسكب بغزارة وبحرارة النار الحارقة. لقد وظف الشاعر النار كرمز لوصف ما يعانيه من ألم، والمتأمل لهذا الوصف يجده يعبر عن مشاعر إنسانية راقية فهي نار الشوق والحب العفيف، وللتوضيح للمتلقي ذلك العذاب الذي يشعر به الشاعر فالنار تلهب فؤاده وقلبه وكيانه.

رمز الصحراء:

يوظف شاعرنا الصحراء لأنه يعيش فيها ويعرف كل تفاصيلها، فهي جزء لا يتجزأ من هويته، يعبر بها عن أصالته وشخصيته وشدة ترابطه مع أرضه، وترمز الصحراء للعزلة والأصالة والفضاء الواسع الذي يدعو للتأمل والتفكير واطلاق العنان للنفس، وقد ترمز أيضا إلى الفراغ والوحدة والعزلة والنقاء، يقول الشاعر موظفا الصحراء في قصيدة تحت عنوان "هدهد النحس":

«وَأَنَا فِي الصَّحْرَاءِ مُنْعَزِلًا

وَلَا بِسَاطِ رِيحٍ فَيَحْمِلُنِي»¹⁶

الصحراء رمز العزلة والبكاء على الأطلال عند شاعرنا، فهو يصور لنا حالة العزلة التي يعيشها حتى صار يكلم الهدهد ويأمره أن لا يخبره بعد اليوم إن هو رأى محبوبته، وفي الوقت ذاته يريد فك هذه العزلة التي تقتله ويريد لقاء محبوبته في أقرب وقت، فصار يتمنى بساط ريح يأخذه إليها أو غفريتاً يحقق أمانيه بوصلها وكسر عزلته التي باتت تؤرقه وتطرد النوم من عينيه.

رمز الخيمة:

الخيمة رمز حضاري وموروث ثقافي واجتماعي، وهي أيضا رمز للبداءة والصحراء والكرم والضيافة والبساطة، وهي كذلك رمز الاستقرار حيث تعتبر الخيمة مسكن بدو الصحراء ومأمنهم من طبيعتها القاسية، وهي رمز العروبة والأصالة والتمسك بالهوية الصحراوية الأصيلة والتحدي، وقد وظفها شاعرنا في قصيدة بعنوان "إلى نزار... ملك الحروف" قائلا:

«وَالْخَيْمَةُ الْحَسَنَاءُ أُبِيحَ عَرَضُهَا

كَغَانِيَةٍ تُجْزِي عَطَاءً لِلْعَابِثِينَ أَنْفَالَهَا»¹⁷

شبه الشاعر الخيمة بالفتاة الحسنة التي استبيح عرضها، وهذه الفتاة هي القصيدة العربية التي تعرضت للتشويه حتى صار كل عابر يقول أي كلام على أنه شعر، فالخيمة عند شاعرنا هي رمز الأصالة والجودة والحفاظة على القصيدة العربية وحمايتها من المتطفلين عليها فليس كل من يكتب كلاما يصبح شاعرا، والغانية هي الفتاة الجميلة التي تستغني عن الزينة لأن جمالها الطبيعي يغنيها عن وضعها وهكذا هي القصيدة الأصيلة، أما ما هو شائع اليوم من قصائد فهي عبارة عن عبث يمارسه بعض الأشخاص لا يمكن أن يرقى لمستوى القصيدة الأصيلة.

رمز الناقة:

الناقة رمز الصبر على العطش والبيئة الصحراوية الصعبة، ورمز الترحال، ورمز لعظمة الله في خلقه فهي آية من آيات الله في خلقه، وهي رمز الحركة والاستمرار والبداءة والعروبة، وهي رمز للفخر والاعتزاز لصاحبها، وهي أيضا رمز لتحمل العبء والأحمال الثقيلة. وليس يخفى على الدارس العلاقة الوطيدة التي تربط العربي بالناقة منذ العصر الجاهلي؛ فنجد لذكرها في الشعر الجاهلي نصيبا كبيرا، ففي معلقة طرفة بن العبد يذكر الناقة ويصفها بعدد الصفات وسنأخذ بيتا من أبياته حيث يقول:

«وَإِنِّي لَأَمْضِي أَلْهَمَّ عِنْدَ احْتِضَارِهِ
بِعَوْجَاءٍ مِرْقَالٍ تَرَوْحُ وَتَعْتَدِي»¹⁸

فالعوجاء هي ناقة التي ترافقه ليلا ونهارا في الحزن والفرح، وهذا ما يدفع الشاعر العربي المعاصر يواصل المسير على ذات الخطى ليجعل الناقة رمزا حاضرا في جل القصائد، وهذا الشاعر قويدر قيطون في قصيدة "فاهنا بالخزي فكلك عار":

«يَا سَائِسَ النُّوقِ

يَا رَاضِعَ الدَّلِّ قَدْ بَتَّ تَشْرِبُهُ

تَسْقِي نَدِيمَكَ كَأْسًا

مِرَاجُهَا أَوْزَارُ»¹⁹

النوق عند شاعرنا هم البشر الذين يصبرون على ظلم وتجبر الحكام، وهؤلاء هم حكام دول الخليج الذين يرى الشاعر أنهم رضوا بالذل، فسائس النوق هو صاحبها الذي يقودها ويقوم برعايتها وتنظيمها، لكن هنا العكس فحكام هؤلاء تجبروا واتبعوا الكفار وحذوا حذوهم حتى عصوا الله وباعوا بعضهم البعض من أجل صالحهم الشخصي.

رمز السيف:

اختلفت رمزية السيف، ففي الأساطير القديمة يتمتع حامله بسلطة الحياة والموت، فهو رمز القوة والشجاعة والنفوذ وحديه المتوازيان يرمزان إلى تحقيق العدالة؛ كما يرمز أيضا إلى الواجب والشرف ويرمز إلى الخير، كما يمكن أن يرمز أيضا للشر والظلم

والتجبر؛ فهو ملك لصاحبه يوجهه كيفما شاء وأراد، ويستخدم السيف كرمز ديني للمعابد والكنائس، وقد وظفه الشاعر في قصيدة بعنوان "فاهناً بالخزي فكلك عار" قائلا:

«جَرَدَ السَّيْفَ تَأْمَلُ بَارِقَهُ»
فَبَيْنَ جَنْبَيْكَ أَنْتَ خَوَّارُ
يَا خَادِمَ الْكُفْرِ
تَبَّتْ يَدَاكَ
فَمَا بِهَا أَوْطَارُ»²⁰

وظف شاعرنا السيف في هذه القصيدة كرمز للحكم، لكنه مجرد زينة يتزين بها حكام الظلم الذين وصفهم بالجن والضعف والتبعية واتباع الكفار وخدمتهم، فصار السيف بأيديهم رمزا أيضا للخذلان والخوار عن أمر المسلمين، فصاروا بذلك يحاربون الله ويعصون أمره بل ينفذون أمر الكفار على حساب الشعوب المسلمة التي تعاني وطأة الخيبة والظلم، فهم يجلسون مكتوفي الأيدي يكتفون بمشاهدة الأحداث من بعيد.

في قصيدة تحت عنوان "هولاكو رقم 2" يوظف السيف أيضا قائلا:

«صَدَاتُ سَيُوفُنَا فِي أَعْمَادِهَا غَاضِبَةٌ
فَمَنْ يَا تُرَاهِ يَجْرُؤُ الْيَوْمَ فَيُنَادِيهَا
أَسْيَادُنَا كَالْعَرَائِسِ يَوْمَ زَفَّتِهَا
كَمْ يَا تُرَى مِنْ وَسَامٍ سَوْفَ تُحْلِيهَا»²¹

يتحدث الشاعر في هذه القصيدة عن حرب أمريكا ضد العراق، الحرب التي اكتفى فيها حكام العرب بمشاهدة الأحداث من بعيد، والسيف الذي صدأ هنا رمز للتخاذل والضعف فلا أحد يجرؤ على الاقتراب ومساعدة العراق، ويشبه الشاعر حكام العرب بالعرائس التي تتزين فقط تراقب ما يحدث حولها، لا تحرك ساكنا وتنتظر الأوسمة

والحلي، وهذا المشهد يعكس مدى الضعف الذي تشهده البلاد الإسلامية والعربية التي تعاني التشتت، حتى باتت مطمع الطامعين، والشاعر يصور لنا مشهد الهوان العربي فيصغر ويحقّر حكام العرب.

رمز الرمل:

دأب الشاعر قويدر قيطون على التوغل في عناصر الطبيعة؛ لأنها تشبهه في الأحاسيس والرمل إحدى تلك الرموز الطبيعية التي تحمل دلالات كالاتساع والمغامرة والضياع والنقاء وغيرها، وشاعرنا وظف رمل الشاطئ في مقارنة بينه وبين رمال الصحراء، فقال في قصيدة تحت عنوان "ذكرتك حجيراء":

«عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ

وَمَوْجُ الْبَحْرِ يَتَلَاظِمُ

جَالِسٌ أَنَا وَتَحْتِي بِسَاطُ الرَّمْلِ نَاعِمٌ»²²

الشاعر كما ذكرنا سابقا ابن الصحراء، وقد جعل من هذه القصيدة مقارنة بين بيئته وبيئة أخرى معاكسة تماما، فالرمل الذي يعرفه وينتمي إليه هو رمل الصحراء، أما الرمل الذي يتحدث عنه هنا رمل البحر ويقرب لنا المشهد بوصفه لغروب الشمس وموج البحر الذي هو جالس أمامه، فيرسم لنا لوحة طبيعية وهو يستذكر حبه الأول مسقط رأسه مدينة "حجيراء" التي تعرف بحرارتها الشديدة صيفا، وفي هذا الوصف محاولة هروب ولو مؤقتة من واقع الشاعر والبيئة التي يعيش فيه، ومع كل هذا فهو مشتاق لتلك البيئة التي ترعرع فيها.

خاتمة:

نخلص في نهاية هذا البحث إلى النتائج الآتية:

- الرمز تفرّع إيجائي ودلالي لا منتهي يساهم في خلق اتساق وانسجام بين الدال والمدلول.

- الشعر الجزائري مولع بالتخفي والتمنع، فهو يترقّع عن كشف أسرارهِ لذلك نراه يعكف على توظيف الرمز كوسيلة للغموض ويرفض أشكال السطحية ويتنعد عن المباشرة.
- وظف الشاعر قويدر قيطون مختلف أنواع الرمز ليزيد قصائده جمالية وفنية، ويحمل المتلقي على التأويل واستنزاف الدلالة.
- غلب الرمز الطبيعي في هذه المجموعة الشعرية، لأن الطبيعة هي محيط الشاعر الذي يعيش فيه، فيتفاعل مع عناصرها ويحاول كشف أسرارها والبحث عن حقيقتها.
- أجاد الشاعر الجزائري قويدر قيطون توظيف مختلف الرموز وهذا ما أضفى على هذه المجموعة الشعرية بعدا جماليا وفنيا.
- ساهمت الرموز المختلفة التي وظفها الشاعر قويدر قيطون في تشكيل الصورة وإبرازها في حين عجزت اللغة العادية عن وصف ما يفكر به الشاعر وما يشعر به.
- يلجأ الشاعر المعاصر إلى الرمز للحديث عن تجربته الشعورية والحياة الباطنية التي يعيشها.

الإحالات

- 1- عز الدين اسماعيل: الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية، دار الفكر العربي، ط3، القاهرة، مصر، ص198.
- 2- المرجع نفسه، ص199.
- 3- أدونيس: زمن الشعر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط5، بيروت، لبنان، 1986، ص160.
- 4- محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية 1925-1975، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، لبنان، 2006، ص549.
- 5- المرجع نفسه، ص549، 550.
- 6- قويدر قيطون: حروف ثائرة، سامي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، الوادي، الجزائر، 2018، ص4.
- 7- المصدر نفسه، ص8.
- 8- المصدر نفسه، ص8.
- 9- المصدر نفسه، ص14.
- 10- المصدر نفسه، ص19.

- 11- المصدر نفسه، ص7.
- 12- المصدر نفسه، ص7.
- 13- المصدر نفسه، ص10.
- 14- غاستون بشلار: النار في التحليل النفسي، تر: نهاد خياطة، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1984، ص11.
- 15- قويدر قيطون: حروف نائرة، ص10.
- 16- المصدر نفسه، ص7.
- 17- المصدر نفسه، ص12.
- 18- محمد الأمين بن الحسن: المعلقات السبع، إعداد: دار المربي، الفردوس للطبع والنشر والتوزيع والترجمة، ط2، الإسكندرية، مصر، 2016، ص41.
- 19- المصدر نفسه، ص17.
- 20- المصدر نفسه، ص17.
- 21- المصدر نفسه، ص38.
- 22- المصدر نفسه، ص35.